مركز حمورابي

نهاية الاستثنائية الأميركية: إعادة انتخاب ترامب سوف تعيد تعريف القوة الأميركية

نهاية الاستثنائية الأميركية: إعادة انتخاب ترامب سوف تعيد تعريف القوة الأميركية

بقلم دانيال درزنر
ترجمة: أ. د. أحمد عدنان كاظم / استاذ العلوم السياسية في جامعة بغداد

مركز حمورابي للبحوث والدراسات الإستراتيجية

18 تشرين الثاني 2024

حقوق النشر محفوظة لمركز حمورابي
للبحوث والدراسات الإستراتيجية

لا يجـــوز نشـــر أي من هذه الابحـــاث والدراســـات والمقالات الا بموافقة المركز، ويجوز الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا، وليس من الضروري ان تمثل المقالات والابحاث والدراسات والترجمات المنشورة وجهة نظر المركز وانما تمثل وجهة نظر الباحث

على الرغم من أن استطلاعات الرأي أظهرت تعادلا إحصائيا ومخاوف من انتظار طويل لإعلان نتائج الانتخابات الرئاسية، ليأتي إعلان ترامب الفائز في وقت مبكر من صباح الأربعاء الماضي. على عكس مما جرى في انتخابات العام 2016، ليؤشر فوزه بالتصويت الشعبي والمجمع الانتخابي تطورا غير مسبوق على مستوى المنافسات الانتخابية، مما أدى إلى تحسين مكانته ووضعه أمام جميع فئات المجتمع الأمريكي. لقد فاز الجمهوريون بأغلبية قوية في مجلس الشيوخ بواقع (53) مقعدًا، ويبدو أنهم من المرجّح أن يحتفظوا بالسيطرة على مجلس النواب. أما الصورة الذهنية أمام بقية دول العالم فستكون حتما صورة واضحة، وهي من ستحدد رؤية ترامب في جعل أمريكا عظيمة مرة أخرى حيال السياسة الخارجية الأمريكية المستقبلية في غضون الأعوام الأربعة القادمة (ترامب ورؤية حركة الماكا بشأن الدولة الأمريكية العظيمة).

كما إن أي مراقب لولاية ترامب الرئاسية الأولى، يستلزم أن يكون على دراية في استحضار أولويات السياسة الخارجية الأمريكية القادمة أيضا. ومع ذلك، فمن المرجّح أن تكون هناك ثلاثة اختلافات مهمة قد تحصل بين سياسات ترامب الخارجية في ولايته الأولى مقارنة بالثانية. والتي تكمن في الآتي:

أولا: سيتولى ترامب إدارة المسؤوليات بالتعاون مع فريق أمن قومي جديد يكون أكثر تجانسا مما كان عليه في العام 2017.

ثانيا: إجراء مقارنة بين وضع العالم في العام 2025 وما جرى بعد العام 2017، وفي كلتا الحالتين بات الوضع مختلف تماما (تصدّع السياسات العالمية في ظل فوضى الحروب والصراعات).

ثالثا: العمل على أن تكون أمام إدارة ترامب الجديدة والفواعل الخارجية الأخرى قراءة أفضل للواقع بكثير عما سبقها.

من هنا، سنجد أن الرئيس المنتخب ترامب بوضع وصورة جديدة في تنفيذ السياسة العالمية وسيكون بمستوى عالٍ من الثقة. أما إذا كان التفكير بإخضاع العالم سيحظى بأي حظ أفضل من شعاره (أميركا أولا) فهذا سؤال آخر ومختلف تماما، وبحاجة إلى تحليل ورؤية جديدتين. ولكن ما هو مؤكد هو أن عصر الاستثنائية الأميركية قد انتهى. بمعنى أن مرحلة إدارة ترامب الجديدة ستشهد توقفا في السياسة الخارجية الأمريكية وترويجها للأفكار الأميركية الراسخة السابقة. فضلا عن التوجه المتوقع في ممارسات السياسات الخارجية التقليدية السابقة نفسها، سيؤدي إلى جعل الولايات المتحدة الأمريكية وكأنها قوة عظمى عادية في الساحة الدولية.

1 . قواعد اللعبة:

لقد كانت رؤية ترامب للسياسة الخارجية واضحة منذ دخوله الحياة السياسية. فهو يعتقد أن النظام الدولي الليبرالي الذي أنشأته الولايات المتحدة الأمريكية، كان مع مرور الوقت سبباً في إلحاق الضرر بالولايات المتحدة نفسها. ولتغيير هذا الخلل البنيوي، يريد ترامب تقييد التدفقات الاقتصادية الواردة المتعلقة بقضايا الاستيراد والمهاجرين (على الرغم من أن ترامب يُفضّل الاستثمار الأجنبي المباشر). كما انه يريد من الحلفاء أن يتحمّلوا قدراً أكبر من العبء في الدفاع عن أنفسهم بقضايا مختلفة تتعلق بالأمن والاقتصاد على حد سواء (المسؤولية السياسية والأمنية الأوروبية). لاسيما وأن ترامب يعتقد بأنه يمتلك القدرة على ابرام صفقات مع النخب الاوتوقراطية التقليدية المؤثرة، مثل فلاديمير بوتين في روسيا أو كيم جونج أون في كوريا الشمالية، وهو ما من شأنه أن يقلل من التوترات الحاصلة حاليا في بؤر التوتر العالمية، وبالمحصلة النهائية سيتيح أمام الولايات المتحدة الأمريكية فرص غير مسبوقة تسمح لها بالتركيز على الداخل الأمريكي.

على نحو مماثل، فإن الوسائل المفضلّة لدى ترامب تكمن في الحصول على ما يريده في إدارته للسياسة العالمية. كما أنه يؤمن بجدوى شدة استخدام وتوظيف وسائل الإكراه في السياسة الدولية، مثل العقوبات الاقتصادية، للضغط على الجهات الفاعلة الأخرى. كما أنه يؤمن بنظرية (الرجل المجنون) الذي يهدد دوما بفرض زيادات هائلة للتعريفات الجمركية، أو يؤمن بسياسة (النار والغضب) التي تفرض ضد الدول الأخرى، كونه يمتلك اعتقاد راسخ يتمثل بجدوى هذه التهديدات التي ستجبرهم على تقديم تنازلات أكبر مما قد تقدمه بخلاف ذلك. ولكن في الوقت نفسه، يُنفّذ ترامب ممارسات عملية فاعلة في السياسة الخارجية أيضا، مما يدل على استعداده لتنفيذ تلك الأدوات الاكراهية كما جرى في مدة ولايته الأولى، بهدف ربط القضايا المتباينة المختلف عليها بتأمين الحصول على تلك التنازلات الاقتصادية فعليا على مدى المستقبل القريب. وعلى سبيل المثال، فيما يتعلق بالصين، أظهر ترامب استعدادا متكررا للتنازل عن قضايا أخرى تعلقت بالقمع الحاصل في هونج كونج، والقمع في إقليم شينجيانغ، واعتقال أحد كبار المسؤولين التنفيذيين في شركة التكنولوجيا الصينية هواوي، مقابل الحصول على مزايا أو ابرام صفقة تجارية ثنائية أفضل. لقد كان سجل السياسة الخارجية لإدارة ترامب خلال مدة ولايته الأولى متداخلا بشكل واضح في توظيف وسائل الاكراه بتنفيذ السياسة الخارجية، وإذا نظرنا إلى الصفقات التي أعيد التفاوض عليها بشأن اتفاقية التجارة الحرة لكوريا الجنوبية أو اتفاقية التجارة الحرة لأميركا الشمالية (التي أعيدت تسميتها باتفاقية الولايات المتحدة والمكسيك وكندا أو ما يعرف ب USMCA)، بمعنى إن محاولاته للإكراه هذه قد أسفرت عن نتائج تعكس نجاعة رؤيته التكاملية المشتركة بالتعاون مع الفواعل الأخرى. وينطبق الشيء نفسه على اجتماعات القمة الحاصلة مع كيم جونج أون. ولكن هناك امكانية من بعض المختصين في تحليل ذلك من منظور الطبيعة الفوضوية التي طالت إلى حد ما البيت الأبيض في عهد إدارة ترامب الأولى. من هنا شهدنا وجود مراحل عدة تواجه إدارة ترامب في حالة تصوره بأن الحرب تدار بهذه الكيفية في مدة ولايته الأولى،

مما أدى في كثير من الأحيان إلى وصف مستشاريه الأكثر معرفة بهم في السياسة الخارجية (مثل وزير الدفاع جيم ماتيس ومستشار الأمن القومي إتش آر ماكماستر) بأنهم (الكبار في الغرفة). أما النتيجة النهائية فقد اشرت وجود الكثير من التقلبات والتغييرات الشخصية في طاقم الموظفين نفسه، فضلا عن تباين المواقف حيال السياسة الخارجية الأمريكية، مما أدى إلى تدهور قدرة ترامب على تحقيق أهدافه المنشودة آنذاك.

إذ لا ينبغي أن يتكرر المشهد نفسه في ولاية ترامب الثانية القادمة، حينما استطاع في غضون السنوات الثمانية الماضية جمع ما يكفي من الأتباع لتوظيف مسؤولين من ذوي التفكير المماثل في فريقيه المتخصص بالسياسة الخارجية والأمن القومي على حد سواء؛ ولكن من غير المرجّح أن يواجه مقاومة من المعينين السياسيين السابقين، والشيء نفسه من قبله أيضا. كما ستكون اجراءات المراقبة التنظيمية على سياسة ترامب الحالية أضعف بكثير عما سبقها. لذا فأن الفروع التشريعية والقضائية للحكومة الآن أكثر ودية حياله، مقارنة مما كانت عليه في العام 2017. كما أشار ترامب مرات عدة إلى أنه ينوي تطهير الجيش والبيروقراطية من المهنيين الذين يعارضون سياساته، ومن المرجح أن يستخدم برنامج عمله وفقا للجدول F (وهو جدول مخطط له للعام 2025، ليكون بمنزلة أمر تنفيذي يمنحه سلطة فصل موظفي الخدمة المدنية الفيدرالية)، كونه إجراء إداري مغاير لإعادة تصنيف المناصب في الخدمة المدنية على أنها مناصب سياسية، مما يفضي إلى إجبارهم على الخروج وتغيير الطاقم الاداري بأكمله (تغييرات جذرية تجري في جهاز الخدمة المدنية الحديثة، ما يتيح له جلب الموالين له بدلاً من البيروقراطيين الحكوميين المحميين تقليديا من التغييرات الإدارية). وعلى مدى السنوات القليلة القادمة، ستتحدث الولايات المتحدة الأمريكية بصوت واحد بشأن السياسة الخارجية، وسيكون هذا الصوت هو صوت ترامب.

على الرغم من أن قدرة ترامب على قيادة آليات السياسة الخارجية سوف تتعزز بشكل تدريجي مستقبلا، لذا فإن مقدرته على تحسين مكانة الولايات المتحدة في العالم تكاد أن تكون مسألة أخرى. إذ ستتمثل بظهور أبرز التناقضات والتداخلات في الاهتمام الأميركي الخارجي بقضايا أوكرانيا وغزة وما سواها. ومن خلال حملة الانتخابات للعام 2024، انتقد ترامب بايدن؛ بسبب الانسحاب الفوضوي للولايات المتحدة من أفغانستان في العام 2021، مؤكدا أن الإذلال في أفغانستان أدى إلى انهيار مصداقية أمريكا واحترامها أمام العالم. ومن شأنه حصول نتيجة مماثلة كهذه في أوكرانيا لاحقا، وقد تنتج مشكلات سياسية مشابهة في إدارة ترامب القادمة. ففي غزة، حثّ ترامب بنيامين نتنياهو على إنهاء المهمة وتدمير حركة حماس بالكامل؛ ولكن لم يمتلك نتنياهو رؤية استراتيجية لإنجاز هذه المهمة فعليا، ومع ذلك فأن (إسرائيل) ستواصل حربها المستمرة مع دعم الشركاء الأميركيين لها في العالم. وفي الحقيقة سيجد ترامب نفسه أمام صعوبة أكبر بانسحاب الولايات المتحدة من هذه الصراعات، كما ادعى بتطبيقه وتحقيقه خلال حملته الانتخابية.

مع الأخذ بالحسبان تغير قواعد اللعبة العالمية منذ العام 2017، حينما كانت المبادرات والتحالفات والمؤسسات الأميركية القائمة لا تزال تتمتع بقدر كبير من القوة. وفي غضون ذلك، أصبحت القوى العظمى الأخرى أكثر نشاطا في إنشاء وتعزيز هياكلها الخاصة المستقلّة عن الولايات المتحدة الأمريكية نفسها. إذ تتمثل هذه البُنى الجديدة من وجود مجموعة البريكس إلى أوبك، وصولا إلى منظمة شنغهاي للتعاون. وبشكل غير رسمي، يمكن للمراقب المتخصص أن يرى تحالف جديد للقوى التي تعرّضت للعقوبات الدولية، والممثلة بالصين وكوريا الشمالية وإيران وهي تروم دعم ومساعدة روسيا في تعطيل النظام العالمي الراهن (أو تغيير فواعل قيادته الجديدة مستقبلا). فقد يرغب ترامب في الانضمام إلى بعض هذه المجموعات بدلاً من إنشاء بدائل أخرى موازية. ومن المرجّح أن تفشل جهود ترامب المعلّنة في تقسيم وتجزئة جهود هذه المجموعات. إذ لا تثق النخب الاوتوقراطية ببعضها البعض، لكن فعليا ستزداد انعدام ثقتهم بدونالد ترامب بالمحصلة النهائية مستقبلا.

لقد أصبح دونالد ترامب الآن سلعة معروفة على الساحة العالمية بعد انتخابه بهذه الكيفية (مخرجات التسويق الاعلامي). وكما أكدت إليزابيث سوندرز الأستاذة بجامعة كولومبيا مؤخرا، في انتخابات عام 2016، حينما وجدت السياسة الخارجية لترامب غامضة إلى حد ما؛ ولكن في العام 2024، أصبح التنبؤ بتصرفات ترامب أسهل بكثير عما سبقه (ايقاف الحروب والتركيز على مستقبل الاقتصاد العالمي). أما المرشح الذي أراد أن يكون الرجل المجنون وأحب فكرة إبقاء الدول الأخرى في حيرة من أمرها فقد أصبح من الناحية السياسية أمام أجندة وبرامج عمل يمكن التنبؤ بها إلى حد كبير. إذ رأى زعماء مثل شيجين بينغ، وبوتين، وكيم جونج، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وحتى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، حيل ترامب وطريقة إدارته للأمور سابقا. والآن تدرك القوى العظمى والدول الأصغر حجما أيضا، بأن أفضل طريقة للتعامل مع ترامب هي التفاخر به واظهار محاسنه، والامتناع عن التحقق من صحة ما يقوله في الأماكن العامة، وتقديم تنازلات واضحة ولكن شكلية (التسويات والصفقات)، والعمل على ابقاء مستوى من الثقة مقبول معه، على أمل الحفاظ وضمان تأمين مصالحهم الأساسية إلى حد كبير. لقد حقق أسلوب ترامب التفاوضي مكاسب ملموسة ضئيلة في ولايته الأولى؛ وسوف يحقق مكاسب أقل من ذلك في ولايته الثانية مستقبلا (سلّم أولويات التوقعات والسيناريوهات المستقبلية).

2 - لا استثناءات طويلة (نهاية الاستثناءات):

ليس من الضروري أن تكون مرحلة إعادة انتخاب دونالد ترامب لولاية ثانية مشابهة لولايته الأولى على مستوى العمل وتنفيذ الأهداف. إذ سيكون المستقبل أمام احتمالين، أولهما الفساد الحتمي الذي من شأنه أن يعرّض السياسات الأميركية للخطر بفعل التسويات والصفقات. إذ استفاد كبار المسؤولين السياسيين السابقين في الإدارات السابقة، من هنري كيسنجر إلى هيلاري كلينتون (وزراء الخارجية)، من خدمتهم العامة واجراء صفقات الكتب والخطب الرئيسية

والاستشارات الجيوسياسية. أما المسؤولين السابقين في إدارة ترامب فقد أخذوا بالحسبان هذا الأمر ضمن مراحل متقدمة، فقد استغل مستشارون أمثال صهر ترامب ومساعده في البيت الأبيض جاريد كوشنر وريتشارد جرينيل السفير السابق والمدير بالوكالة للمخابرات الوطنية، العلاقات التي أقاموها كصناع للسياسات، بهدف تأمين الحصول على مليارات الدولارات من الاستثمارات الأجنبية (بما في ذلك من صناديق الاستثمار الحكومية الأجنبية) وصفقات العقارات فور مغادرتهم لمناصبهم تقريبا. ولن يكون من المستغرب أن يقترب مثل هؤلاء المسؤولين والمستثمرون الأجانب من مجموعة مستشاري ترامب، ويتقدمون بوعود ضمنية وصريحة، من أجل ابرام صفقات مُربحة بعد مضي مدة محددة من تمكينهم في مناصبهم طالما أنهم يؤدون اللعبة بجدارة في غضون وجودهم بالسلطة. وإذا ما أخذنا ما حصل فعليا بهذه الطريقة مقارنة بالدور المتوقع الذي سيلعبه مليارديرات العالم مثل إيلون ماسك في مرحلة حكم ترامب الثانية القادمة، فمن الممكن والمؤكد أن نتنبأ مستقبلا بزيادة هائلة في فساد السياسة الخارجية الأميركية.

أما الاتجاه الثاني من الاحتمالات فسيكمن بتسريع نهاية مرحلة الاستثنائية الأميركية كما أسلفنا. فمنذ عهد حكم الرئيس الأسبق هاري ترومان إلى جو بايدن، تبنى رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية فكرة مفادها أن القيم والمُثُل الأميركية تلعب دورا مهما في السياسة الخارجية الأميركية. وقد تم التنافس على وفق هذه الرؤية رغم الاختلاف الحاصل في تنفيذها ضمن مراحل تاريخية عدة؛ ولكن تعزيز قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان كان يعدان من ضمن سلّم أولويات المصلحة القومية الأمريكية. من هنا أكد عالم السياسة الأمريكي جوزيف ناي أن هذه القيم والمُثُل الأميركية ستشكل عنصرا أساسيا ومهما في توظيف القوة المستقبلية الناعمة بالسياسة الخارجية الأمريكية.

لقد أدت أخطاء السياسة الأميركية السابقة، فضلا عن الاستخفاف أو الانحراف بالسلوك الروسي الخارجي إلى تحويل الانتقادات الموجهّة حيال سلوك شخص ما لآخر، إلى حصول تآكل في القوة الاستثنائية الأميركية. كما سيعمل ترامب على تبني السلوك الروسي نفسه، حينما يتعلق الأمر بفرض القيم الأمريكية والعمل على نشرها عالميا، كما جرى في مرحلة مبكرة بالولاية الأولى حينما اشار إلى أن لدينا مجموعة من القتلة يقابلها سؤال آخر هل أن أمريكا بريئة للغاية؟

لقد كان بالإمكان للجمهور الأجنبي أن يبرر ذلك بأن أغلب الأميركيين لا يصدقون هذا، نظرا لأن ترامب لم يفز بالتصويت الشعبي؛ لكن انتخابات العام 2024 قد حطمّت هذا الاعتقاد. فخلال الحملة الانتخابية وعد ترامب بقصف المكسيك وترحيل المهاجرين الشرعيين، ووصف السياسيين المعارضين بأنهم (الأعداء من الداخل)، كما ادعى بأن المهاجرين هم من يقومون بتسميم دماء بلدهم. وعلى الرغم من كل هذا وما جرى من تصريحات وخطابات ضد المهاجرين تم انتخاب ترامب وتحقيق الأغلبية الشعبية، وبدت دول العالم تنظر إلى ترامب كاستثناء شاذ في معادلة الاستثنائية الأميركية؛ وما سيرونه في هذه الحالة الجديدة ظهور صورة ذهنية مغايرة للمواقف الأمريكية تعمل بفاعلية، من أجل المستقبل القادم للبلاد عموما خلال القرن الحادي والعشرين

مركز حمورابي للبحوث و الدراسات الاستراتيجية

أسس مركز حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية في 2012-4-25 بمدينة بابل(الحلة)، كمركز علمي بحثي يمتد الى دراسة الموضوعات السياسية و المجتمعية بصورة علمية و استراتيجية، فضلاً عن التركيز على القضايا والظواهر الحادثة والمحتملة قي الشأن المحلي والأقليمي والدولي ، ويتعامل مع باحثين من مختلف التخصصات داخل العراق وخارجه، وتحتضن بغداد المقر الرئيسي للمركز.

www.hcrsiraq.net

07810234002

hcrsiraq@yahoo.com

t.me/hammurabicrss

مركز حمورابي للبحوث والدراسيات الاستراتيجية

hcrsiraq

العراق - بغداد- الكرادة